الآن هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى
غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل
القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلى عن الطائفين متنزهات الانفس
والملكوت والآفاق واليه دعا الله تعالى وانكم لتمرون عليها مصبحين وبالليل افلا تعقلون
وبقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وبقوله وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل
افلا تعقلون وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن
تيسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن
بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا يضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه
التزاحم والتوارد بل يزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده
فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته زائدة غير مقطوعة الا ان بدا للمسافر فترة — متزايدة
في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا
ازاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يؤهل للجولان
في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة
مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا او ذخيرة للآخرة فان كان مطلبه العلم
والدين او الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره
شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشياطين وان واظب عليها لم
يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين

الباب الاول

في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية
السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول في فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله
آفات كما ذكرناه في كتاب آداب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة
على السفر لا تخلو عن هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج
عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد و
مطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوباء
اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة او خصومة او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه
او خاص كمن يقصد باذية في بلده فيهرب منها واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي
في بلده بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول
ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته

فيطلب الفرار

فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما
علم او عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل
التجربة واما علم بآيات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوفه في نواحي الارض
والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة ايضا من القربات
وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة
وقد يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك
بمشاهدتهم ويستفاد بالنظر الى احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه — هي
اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام

القسم الاول

السفر في
طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك
العلم اما علم بامور دينية او باخلاقه في نفسه او بآيات الله في ارضه وقد قال صلى الله — فيه صح
عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وفي خبر آخر من
سلك طريقا يلتمس فيها علما سهل الله له طريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب
يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى
اليمن في كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة
الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن انيس بن عبد الله الانصاري
يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه وقل مذكور في اهل العلم محصل
من زمان الصحابة الى زماننا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله واما علمه بنفسه
واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الآخرة لا يمكن سلوكها الا بتحسين الخلق و
تهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب
منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله الخبء في السموات والارض
وانما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر للذي كان يعرف عنده
بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق
فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا
فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير وبالجملة فالنفس في الوطن مع مواتاة
الاسباب لا يظهر خبائث اخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات
المعهودة فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة
وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها — وامتحنت صح
فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر
مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما آيات الله في ارضه ففي

Copyright © King Saud University